تأسيس لخطاب أدبي أنثوي حقيقي الأنوثة، ولكن هذا لن يتحقق حدوثه إلا بتخليص اللغة من فحولتها التاريخية. وهذا ما سعت هذه الرواية إلى فعله حيث أخذت بمهمة تفكيك الفحولة وتكسيرها، وفي الوقت نفسه راحت اللغة تكتب نفسها، تنقش صورتها على الورق بوصفها أنثى تتكلم بلسان المرأة وتكتب بقلم المرأة، فتسترد اللغة بذلك أنوثتها التي سرقت منها، وتتخلص من المستعمر الفحل الذي احتل المساحة وتحكم بفعل الكتابة وفعل القراءة وفعل التأويل، وهي أفعال كانت جميعها من حق الرجل ومن محتكراته.

كانت اللغة في الأصل أنثى، وضاعت هذه الأنوثة بعد احتلال الرجل لعالم اللغة وتحول الأصل الأنثوي ليكون ذكورياً وقال ابن جني (وغيره) مقولة مصيرية هي (الأصل في اللغة التذكير)[4] مما حول اللغة إلى الفحولة وجعل ضميرها للرجل.

أمام هذا جاءت الرواية تعلن حقها في مناهضة المستعمر وتصرح بوضوح وتحد قائلة بلسان النساء: (نحن نكتب لنستعيد ما أضعناه وما سرق خلسة منا ـ ص 105).

هي كتابة واعية، هي وعي بالمفقود ووعي بالمطلوب. ولذا فإن هذه الرواية تأتي كمثال قوي ودقيق على الكتابة النسائية وعلى المجاز الأنثوي في مواجهة الفحولة ومجازاتها كما تأتي الرواية تتويجاً لجهود عظيمة في مجال الكتابة النسائية واقتحامها عوالم اللغة بخطابيها السردي والشعري.

هو مشروع طويل من أجل تأنيث اللغة، ولكي تتأنث اللغة لا يكفي أن تكون الكاتبة امرأة، وهناك نساء كثيرات كتبن بقلم الرجل ولغته وبعقليته، وكن ضيفات أنيقات على صالون اللغة. انهن نساء استرجلن

(4) ابن جني: الخصائص 415/2 تحقيق محمد علي النجار ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت 1952.